Downloaded from: justpaste.it/110qi

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى:

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)

(سورة الاحزاب)

شرح الكلمات:

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} امتحنوا بالصبر على الإيمان {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً} اضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الفزع، وخوفوا خوفاً بليغاً؛ ليختبرهم ربهم، ويعلم – علم ظهور – مبلغ تصديقهم، ووثوقهم بوعده

المعنى الاجمالي :

خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، والأمر كما وصف الله: {وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا} أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته.

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} بهذه الفتنة العظيمة {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا} بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر –ولله الحمد– من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.

وقوله تعالى {هُنَالِكَ} أي في ذلك المكان والزمان الذي حدق العدو بكم {ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} أي اختبرهم ربهم ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعزعه الشدائد والفتن من السريع الانهزام والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً} أي أُزعجوا وحرّكوا حراكا شديداً لعوامل قوة العدو وكثرة جنوده، وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل المجاعة والحصار، والبرد الشديد وما أظهره المنافقون من تخاذل وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحزاب.

ولقد أعطى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في هذه الغزوة . وغيرها من الغزوات . القدوة العملية في مشاركته لأصحابه التعب والعمل، والآلام والآمال.. فقد تولى المسلمون وعلى رأسهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم .. المهمة الشاقة في حفر الخندق.. ورغم طوله الذي بلغ خمسة آلاف ذراع، بعرض تسعة أذرع، وعمق يقرب من عشرة أذرع، فقد تم إنجازه في سرعة مذهلة، لم تتجاوز ستة أيام.

وكان لمشاركة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الفعلية، أثر كبير في الروح العالية التي سيطرت على المسلمين في موقع العمل. ولقد حرص الرسول . صلى الله عليه وسلم . في هذه الغزوة وغيرها من غزوات، على أن يؤكد لصحابته وللمسلمين من بعدهم، أن النصر من عند الله وحده. ويظهر لنا من هذه الغزوة أهمية الدعاء، فقد كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كثير التضرع والدعاء، وخصوصا في مغازيه، فحينما اشتد الكرب على المسلمين حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، دعا رسول الله . صلى الله عليه سلم . على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم) (البخاري). فاستجاب الله . سبحانه . دعاء نبيه . صلى الله عليه وسلم .. فأقبلت بشائر الفرج، فصرف الله بحوله وقوته جموع الكفر من الأحزاب، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم باختلافهم، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعب في قلوبهم، وأنزل جنودًا من عنده سبحانه ، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً } (الأحزاب:9)..

فالدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة يعوضها ويفضل عليها التضرع إلى الله، والتوكل على الله، قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } (غافر: من الآية60).

فوائد الإبتلاء :

- تكفير الذنوب ومحو السيئات .
- رفع الدرجة والمنزلة في الآخرة.
- الشعور بالتفريط في حق الله واتّهام النفس ولومها .
- فتح باب التوبة والذل والانكسار بين يدي الله.
- تقوية صلة العبد بربه.
- تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بالآمهم.
- قوة الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بأنه لاينفع ولا يضر الا الله .
- تذكر المآل وإبصار الدنيا على حقيقتها.

الواجب على العبد حين وقوع البلاء عدة أمور:

(1) أن يتيقن ان هذا من عند الله فيسلم الأمره.

(2) أن يلتزم الشرع ولا يخالف أمر الله فلا يتسخط ولا يسب الدهر.

(3) أن يتعاطى الأسباب النافعة لد فع البلاء.

(4) أن يستغفر الله ويتوب إليه مما أحدث من الذنوب.

الناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام:

الأول: محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله واتّهام القدر. الثاني : موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله.

الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر وهو أمر زائد على الصبر.

من الأمور التي تخفف البلاء على المبتلى وتسكن الحزن وترفع الهم وتربط على القلب :

(1) الدعاء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة.

(2) الصلاة: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة رواه أحمد.

(3) الصدقة" وفي الأثر "داووا مرضاكم بالصدقة"

(4) تلاوة القرآن: " وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين"!

(5) الدعاء المأثور: "وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون" وما استرجع أحد في مصيبة إلا أخلفه الله خيرا منها.

الفوائد:

1– عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضاً صادقاً لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبرة.

2– بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين.

3–الإيمان والتقوى سببان للمحنة والابتلاء، وثمن الثبات عليهما جنة عرضها الأرض والسماء، وقد حفت الجنة بالمكاره كما حفت النار بالشهوات، وأفاضل الخلق من الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا أعظم الناس بلاء، وأشدهم امتحانا.

4– أن اجتماع الأحزاب وأعداء الإسلام على الدين وأهله عادة ماضية في كل زمان ومكان، فلا تنقطع عداوتهم، وفي ذلك حكمة بالغة في الرجوع إلى الله، وصدق التوكل عليه، والإنابة والذل وإظهار الحاجة، وبذل الغالي لهذا الدين.

5–يحفظ عباده المؤمنين في معاركهم ويمدهم بجيش من عنده ولا يضيعهم، كما أنزل عليهم الملائكة يوم بدر، وأرسل الريح في غزوة الأحزاب.

6–يجب على المسلمين إعداد العدة، واتخاذ وسائل القوة الممكنة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها أخذها، فحفر الخندق يدخل في مفهوم القوة لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ}(60) سورة الأنفال).

7–أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أعطى مثالاً حياً على رأفته بالمؤمنين، حيث شاركهم في حفر الخندق، ويوم أشركهم معه في طعام جابر، ولم يستأثر به.

8–أن المعجزات الكثيرة التي أجراها الله على يد نبيه محمد –صلى الله

عليه وسلم– في هذه الغزوة، سواء التي كانت في حفر الخندق، أو تكثير طعام جابر، أو الرياح التي كانت عذاباً من الله على المشركين، لهي من تأييد الله لرسوله والمؤمنين، ولإقامة الحجة على أعداء الدين.

9–أن النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش، وقد كان الجيش الإسلامي في جميع معاركه، يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقد، والفرح بالاستشهاد، والرغبة في ثواب الله وجنته.

10–أن المنح تخرج من رحم المحن، فهذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في هذا الظرف القاسي والشديد، والصحابة في حصار وجوع، وخوف شديد يضرب الصخرة، ويبشرهم بكنوز كسرى، ودخول المدائن، وفتح اليمن، الله أكبر! إن زراعة الأمل في مثل هذا الظرف ليدل على مدى ثقة القائد بوعد الله ونصره ورباطة الجأش والطمأنينة الكبيرة.

11–أصدر النبي – صلى الله عليه وسلم – قراره بضَرْبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، عَمِلَ فِيهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بنفسه – مشاركةً، و تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وتَحْمِيسًا لهم ، وتواضعًا منه – صلى الله عليه وسلم – فلا يليق بالقائد المسلم أن يجلس في رغد وهو على الفراش اللين الدافىء من خلف جنوده الذين يتضاغون جوعًا ويرتعدون من البرد شمال المدينة حيث أعمال الحفر.

12–أن البلاء إنما يكون خيرا،وأن صاحبه يكون محبوبا عند الله تعالى، إذا صبر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله عز وجل.

13–: إن الله سبحانه ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علما وعملا ولم يضمن نصر الباطل ولو أعتقد صاحبه أنه محق، والعزة والعلو لأهل الإيمان والتقوى الصابرين المحتسبين قال تعالى: فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال: ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

14–لا يمر يوم من أيام هذه الحياة إلا ويحل في الخلق من المصائب الكبيرة والصغيرة ما الله به اعلم، كالفقر والمرض والموت والهموم والمشاكل والظلم والضوائق النفسية والإجتماعية فعلينا إن نستقبل ذلك راضين محتسبين ليرد مر المصيبة ولترفع بها عند الله الدرجات وتحط السيئات.

والله اعلم .....وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (650)

فوائد من تفسير سورة الذكر الحكيم الآية 7

تمدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها عزمي إبراهيم عزيز